سوسيولوجيا الحب في زمن الرقمنة: من منظور بعض علماء الاجتماع

The sociology of love in the age of digitalization: from the perspective of some sociologists

إعداد

نسرين كمال محمود سليم

Nisreen Kamal Mahmoud Selim

دكتوراه علم اجتماع جامعة قناة السويس

Doi: 10.21608/ajahs.2024.341703

استلام البحث ١٤ / ١٢ / ٢٠٢٣

قبول البحث ٢٦ / ١٢ / ٢٠٢٣

سليم، نسرين كمال محمود (٢٠٢٤). سوسيولوجيا الحب في زمن الرقمنة: من منظور بعض علماء الاجتماع. ***المجلة العربية للآداب والدراسات الإنسانية***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٨(٣٠) فبراير، ٣٩٣ – ٤١٢.

http://ajahs.journals.ekb.eg

سوسيولوجيا الحب في زمن الرقمنة: من منظور بعض علماء الاجتماع

المستخلص:

تندرج هذه المحاولة البحثية على وجه العموم، ضمن إحدى مجالات علم الاجتماع الجديد، ألا وهو سوسيولوجيا الحب، وذلك في **محاولة** للوقوف على ظاهرة الحب كإحدى الظواهر الاجتماعية المحددة للتفاعل الاجتماعي، ومدى تأثير الرقمنة على تكوين العلاقات العاطفية. كون الحب يعد أحد الركائز التي تقوم عليها الروابط الإنسانية، والذي يمد الإنسان بالاستقرار النفسي. وسيتم التناول عبر منظور بعض علماء الاجتماع ورؤيتهم حول موضوع الحب، كزيجمونت باومان وتحليله للحب السائل، وإيفا إيلوز وما طرحته من أسباب المعاناة في الحب. كما عرضت الباحثة أفكارهما حول العلاقات الافتراضية وخصائصها، وكيف إنها باتت بديلاً عن الحب الواقعي القائم على التواصل المباشر بين الأنا والغير، كون أن هذه العلاقات العاطفية الافتراضية تبدو أكثر توافقاً مع بنية الحداثة الفائقة. وعليه عرضت الباحثة فكرتها عن الحب الرقمي كنافذة لهروب الأفراد من الواقع التعيس والمحبط، إلا أنه هذا الكم الفائض من الحب الرقمي الذي يمارسه الأفراد بشكل مستمر ومتجدد ما هو إلا دليل احتياج ما للحب الحقيقي.

الكلمات المفتاحية: سوسيولوجيا الحب، المجتمع الرقمي، العلاقات الافتراضية، الحب الرقمي.

Abstract:

In general, this research attempt falls within one of the fields of new sociology, which is the sociology of love, in an attempt to identify the phenomenon of love as one of the social phenomena defining social interaction. And the extent of the impact of digitalization on the formation of emotional relationships. The fact that love is one of the pillars on which human bonds are built, which provides a person with psychological stability. It will be discussed through the perspective and vision of some sociologists on the subject of love, such as Zygmunt Bauman and his analysis of liquid love, and Eva Illouz and what she proposed about the causes of suffering in love. The researcher also presented their ideas about virtual relationships and their characteristics, and how they have become an alternative to real love based on direct communication between the ego and others, since these virtual

ISSN : *2537-0421* eISSN : *2537-043X*

emotional relationships seem more compatible with the structure of ultra-modernity. Accordingly, the researcher presented her idea of digital love as a window for individuals to escape from the unhappy and frustrating reality. However, this surplus amount of digital love that individuals practice continuously and renewing is nothing but evidence of some need for true love.
Keywords: sociology of love, digital society, virtual relationships, digital love.

مقدمة:

يعد الجانب العاطفي بمختلف أشكاله أحد أهم الركائز التي تقوم عليها الروابط الإنسانية، وتبرز أهميته كونه يمد الإنسان بالاستقرار النفسي والذهني، ويمنحه الإشباع الذي يجعله متزناً عاطفياً، فلا يبحث عنه في أي علاقة عابرة. علاوةً على أن الحب يساعد على استمرار العلاقات الإنسانية، فلا يمكن لرابطة إنسانية أن تصبح متينة وثابتة دون وجود ركائز عاطفية بين أطراف العلاقة تساعد على تقويتها واستمرارها، هذا ما أكدت عليه عدة دراسات منها (كعانبة ٢٠٢٢)، و(نجف ٢٠٢١)، و(السالم ٢٠٢٣)، حيث جميعها أكد على أن وجود العاطفة بين الشركاء تكون أكثر تأثيراً في تحقيق الالتزام واستمرار العلاقة، كما أوضحت الدراسات وجود علاقة طردية بين معنى الحب وجودة الحياة لدى الأفراد، وهو ما أكدته ودراسة (Sternberg 1997)، و(Rinaldi 1998). وفي الاتجاه المعاكس المؤكد لنفس الفرضية كانت دراسة (الترك ٢٠١٤)، و(البدري ٢٠٢٢)، والتي أكدتا على أن غياب الجانب العاطفي من أي علاقة يلعب الدور الأبرز في إنهاءها.

وعليه بات الاهتمام المتزايد بدراسة الحب من قبل علماء الاجتماع ضرورة فرضتها متغيرات الواقع الذي بات فيه من العسير الفصل بين ما هو ذاتي وموضوعي، أو بين الخاص والعام، فالحب كعاطفة تنشأ بين الأفراد والجماعات في تفاعلاتهم الحياتية،فمن ثم يتأثر ما يطرأ على المجتمع من تغيرات شأنه شأن مختلف الظواهر الاجتماعية الأخرى (بسيوني، ٢٠٢٢: ٤٩٠). وتأتي معدلات التسارع في التغيرات الاجتماعية في الآونة الأخيرة بفعل التحولات التي طرأت على بنية المشهد المعاصر، والتي نجمت عن التقدم التكنولوجي المتسارع والذي بدوره نحت مفهوم الحداثة الفائقة، للتأكيد على حقيقة مفادها؛ أن المجتمع الذي يتطور فيه الأفراد المعاصرون قد تغير. والذي بدوره أنتج مجتمعاً افتراضياً يعيش ويتعايش بمختلف الصور المتجسدة في علاقات عائلية أسرية، أو علاقات صداقة، وحتى العلاقات والروابط العاطفية التي برزت ونمت على تلك الفضاءات الرقمية (خيري، ٢٠٢٣: ٥-٧). وتلك العلاقات العاطفية هي محط اهتمام الباحثة في هذا البحث.

ISSN : *2537-0421* eISSN : *2537-043X*

فلقد تحولت شبكات التواصل الاجتماعي إلى فضاء مشترك للتعارف والبحث عن الحب بامتياز، الشيء الذي جعل من الانترنت يعتبر المكان الثالث عند شريحة كبيرة من الناس حول العالم بعد أماكن العمل والبيت، كونه يتيح المجال لإقامة علاقات عاطفية تقوم على التعارف والمعاشرة والألفة (فرح، ٢٠١٩: ٥). فعلى عكس العلاقات الواقعية المبنية على الالتزامات طويلة المدى، والقائمة على أساس الوجه الذي يعد علامة التواصل المباشر بين الأنا والغير، فأن تلك العلاقات الافتراضية تبدو أكثر توافقاً مع البنية فائقة السيولة، والتي تتوعد بإشباع أفضل ورضاء أكبر دون بذل أي مجهود لإنجاحها. فعلى حد قول زيجمونت باومان أن العلاقات الافتراضية على عكس العلاقات الواقعية التي يستحيل الدخول والخروج منها بسهولة، فهي تبدو أنيقة ونظيفة ومألوفة وسهلة الاستخدام (باومان، ٢٠١٦: ٣٢١). فالحب الرقمي يتجاوز كل ما هو ثقيل يعيق الذات، بالأحرى هو يمثل الحرية في تمامها.

فالثورة الرقمية تُجري كل شيء عن بعد عبر شبكة الانترنت، حتى بات يتغير أشكال التعبير عن الحب، هذا التغير ينزع باتجاه التقشف في التبادل اللفظي اللساني لفائدة التعبير بما هو متاح من معطيات رقمية. فالكلمة تتراجع لتنكشف الأيقونة الرقمية لتحل محل الكلمة، حيث لم تعد الكلمة حضناً للانفعال الذي يلتقته الوجدان ويعيد صياغته حسب حالات الذات، بمعنى آخر تم اختصار كلمات التعبير عن الحب في مجموعة من الصور المعبرة عن حالة المحب، هذا ما باتت عليه العلاقات العاطفية في زمن الرقمنة (غودار، ٢٠١٩ و Bergstrom, 2019).

ومن أجل فهم أكثر لظاهرة الحب في زمن الرقمنة، سوف تعتمد الباحثة على رؤية كل من زيجمونت باومان Zygmunt Baumank، وإيفا إيلوز Eva Illouz حول سوسيولوجيا الحب، نظراً لأهمية بحوثهم العلمية وقراءتهم النقدية حول ظاهرة الحب في زمن الحداثة، والعلاقات العاطفية الافتراضية، وكذلك للمكانة العلمية التي يحتلونها في الحقل السوسيولوجي المعاصر. ويبقى الهدف من هذا البحث هو محاولة الوقوف على واقع ظاهرة الحب في زمن الرقمنة، الذي شأنه شأن الظواهر الاجتماعية الأخرى التي تدعونا إلى الاحتياط والحذر من الانسياق وراء الأحكام المسبقة التي تطفو على السطح الاجتماعي.

وعليه، فسوف تحاول الباحثة عرض موضوعها عن العلاقات العاطفية والحب من خلال للوقوف على طبيعة تلك العلاقات في ضوء رؤية بعض علماء الاجتماع.

أولاً المجتمع الرقمي

حملت الحداثة وما بعدها تحولات هادرة وأخرى هادئة، سريعة وأخرى بطيئة، مادية وأخرى رمزية، مرئية وأخرى غير مرئية في مختلف المجالات

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

الفكرية، والعلمية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية....إلخ، وكذلك على مختلف المستويات الفردية والجماعية، الخاصة والعامة. وعليه فقد ولدت الحداثة وما بعدها آثاراً لم تكن متوقعة خاصة ضمن السيرورات الخاصة بالتحديث والتقنية والتصنيع، وتأتي سيرورة الرقمنة حاملة لمثل تلك التحولات لتطال نفس المجالات والمستويات. فإذا كان القرن التاسع عشر هو قرن الثورة الصناعية، والقرن العشرين هو قرن الثورة المعلوماتية، فإن بدايات القرن الواحد وعشرين حملت إيذاناً واضحاً بالتأسيس لثورة رقمية تحتضن الثورتين السابقتين، ضمن تركيب يؤلف بين الصناعي والمعلوماتي والرقمي (لعريني وبوحوش،٢٠٢٢: ٢٨٠-٢٨١).

ولقد فاقت النتائج الناجمة عن الثورة الرقمية في مجال الاتصال ما خلفته الثورات الأخرى السابقة عليها، حيث عجلت بولادة إنسان رقمي فائق الارتباطية يُعنى بمعرفة ذاته من خلال الحضور الدائم أمام الشاشات الذكية، وانطلاقاً من التفاعلات الافتراضية، وبذلك شكلت الفضاءات السيبرانية دعامة لبناء الذات الإنسانية وتكوين روابط اجتماعية ممتدة (Cardon, 2019: 177).

ذهب الكثير من العاملين في البيئة الرقمية إلى تحديد معالم أساسية للبنية التحتية التي تشكل جوهر هذا المجتمع الجديد عبر مجموعة من الخصائص التي تميزه عن المجتمع التقليدي، وتساهم هذه الخصائص في ترسيخ السمة المميزة للمجتمع الجديد، كما أنها تقوم في الوقت نفسه بتوفير المناخ المناسب لسيادة الأنشطة التي تسري في كيانه الرقمي، بحيث تتبين معالمه وطبيعته الفكرية التي أرسيت فيها ركائزه الجديدة. ولقد حددت بالطة وبريغت (٢٠٢١)ملامح المجتمع الرقمي فيما يلي:

١. **السعة الاستعابية المفتوحة:** تتألف أرضية الفضاء الرقمي من عناصر تقنية تتسع لنظام له القدرة أن يضم إلى حدوده المترامية الأطراف أي مستخدم، أو أي حاسوب شخصي. ويميل مجتمع المعلومات إلى جعل فضائه الرقمي إطاراً شاملاً يستوعب كافة أنشطة الاتصالات الدائرة في بيئته، حيث لا يفتقر أي مستخدم فيه إلى أي أداة اتصال تقع خارج نطاق سلطته التقنية.
٢. **غياب المركزية:** يميل المجتمع الرقمي إلى إزالة جميع أشكال الامتيازات الفردية التقنية أو التنظيمية من داخل كيانه، كي يكون قادراً على التكيف مع متطلبات السمة الانفتاحية السائدة، ويضمن إغلاق جميع الأبواب أمام نطاق الاختناق التي قد تنتج بسبب وجود سلطة فردية، تقف عائقاً أمام سريان أنشطته اللامركزية.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

٣. **الافتراضية التخيلية:** بات يمكن الحديث عن أدوار اجتماعية مختلفة للأفراد الافتراضيين، إذ سيتعامل الأفراد والجماعات من خلال قواعد وطقوس معينة عند تعاملهم مع الفضاء السيبراني، الذي يظهر أكثر حرية من الحياة الاجتماعية الواقعية لأولئك الأفراد، كما تقدم فرصة ووسيلة جديدة للذين لا يستطيعون الاندماج الاجتماعي في العالم الواقعي، أو الذين لديهم موانع من تكوين علاقات اجتماعية جديدة تؤول بهم الانعزال الاجتماعي.

٤. **تزايد الاهتمام بمسألة الأمن:** نتيجة لتمييع الحدود وسيادة الفضاء المنفتح، مع غياب المركزية التي يمكن أن تتحكم في زمام أركان السلطة داخل كيان الفضاء الرقمي؛ يجعل المجتمع أكثر عرضة لتهديدات المعلوماتية التي تعصف بكثير من مرتكزاته الحيوية. بالإضافة إلى وجود ثغرات أمن معلوماتي نتيجة لتنامي الخبرات لدى المستخدمين وتساهم التكنولوجيات الرقمية بنسبة كبيرة في تعميق المخاطر المحتملة للتهديدات، او الهجمات المعلوماتية.

فالعقلانية الرقمية قد غزت العالم واستعمرت الحياة اليومية للأفراد: عمل عن بعد، تسوق عن بعد، بيع وشراء عن بعد، استشارات طبية- قانونية- أسرية- عاطفية كلها عن بعد، ففي ظل ضخامة المعلومات ومنصات التواصل الاجتماعي في العالم الرقمي، تغير أسلوب الحياة الاجتماعية، فلم تعد المشكلة في ندرة أساليب التفاعل والتواصل، بل في ضخامتها وتنوعها، حيث أثرت هذه المنصات على أساليب التفاعل والحياة الاجتماعية بين الأفراد عبر الثقافة الجديدة التي تبثها تلك المنصات ومحركات البحث المتعددة، والأجيال المختلفة من الذكاء الاصطناعي وكلها أمور أثرت بشكل كبير في حياة المتفاعلين عبر المجتمع الرقمي (زكي، ٢٠٢١: ٢٠٨).

يعيش الفرد في مجتمع الشبكات حياة بأوجه متعددة في وقت واحد، تصفها شيري توركل بالحياة الثانية أمام الشاشات وفي الفضاءات السيبرانية؛ حيث أن إمكانية اختيار أسماء مستعارة وقدرة على التفاعل عن بعد هي أمور سهلت بلا شك إمكانية أن يكون لكل فرد حيوات متعددة بشكل متزامن، مما ساهم في تكوين الفرد لعلاقات افتراضية متعددة، سهلة الاستخدام مقارنة بالعلاقات الواقعية الصامدة. فالعلاقات الافتراضية تتجاوز كل ما هو صلب وجامد، فهي تمثل الحرية في تمامها (لعريني وبوحوش، ٢٠٢٢: ٢٨٥).

وعليه، تود الباحثة الإشارة إلى أنه بالرغم من المساهمة الكبيرة لتكنولوجيات المعلومات والاتصال في تكثيف ومضاعفة التفاعلات، إلا أن ذلك يبقى كمياً وليس كيفياً، " ففي هذه الشبكات الجديدة الكمية تعوض النوعية". وبالتالي،

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

فكثافة التفاعلات والعلاقات الافتراضية مع عدد كبير من الأصدقاء لم يساهم دائماً في تحقيق الأهداف النوعية كتحرير الأفراد من القيود وتخليصهم من الشعور بالوحدة والانعزالية، كما أن كثافة التفاعلات الرقمية لا تعني بالضرورة القدرة على الاندماج الاجتماعي في الحياة الواقعية، بل أكثر من ذلك، فالمبالغة في التفاعلات الرقمية؛ أدى إلى تعميق العزلة والانفصال وتراجع التفاعلات الجسدية المباشرة. تلك هي مفارقة العصر الرقمي التي عبرت عنها Zubbof, S.(2020) فتقول " أننا نحتفي بعالم يغني من قدراتنا ووجهات نظرنا بطرق مختلفة، ولكن هذا العالم أوجد أمكنة من القلق والعنف والمخاطر.

ثانياً الحب في زمن الرقمنة: بعض الرؤى النظرية:

نظراً لطبيعة موضوع البحث وهو رصد ملامح ظاهرة الحب في زمن الرقمنة، فقد تم اختيار بعض آراء زيجمونت باومان حول الحب السائل في ظل الحداثة السائلة، وكذا الاستعانة بآراء إيفا إيلوز حول المعاناة في الحب في زمن الحداثة، كموجهات نظرية للبحث الراهن، كونهما من أكثر المداخل النظرية قرباً من موضوع البحث، وقد تمثلت رؤية منهما فيما يلي:

١- زيجمونت باومن " الحب السائل ":

انتقل الإنسان من الحداثة الصلبة إلى طور الحداثة السائلة، حيث غياب اليوتوبيا والأيدولوجيا مع تغيب الدين، واستبعاد السرديات الكبرى لتفسير العلم: حيث تم اختزال الإنسان في أمرين هما هواه.... وماديته، أي إرادته التي لا يحكمها معيار خارجي، وطبيعته التي تم اختزالها في الجانب المادي منها. فالحداثة فككت المجتمع بمعناه العضوي التضامني، فتحول إلى مجتمع استهلاكي بامتياز وجعلت مشهد الوجود الجسدي هو مسرح الحياة اليومية.

أراد باومان من خلال كتابه (الحب السائل) رصد تجليات الحداثة السائلة، وكيف دمرت ما تتسم به العلاقات الوجدانية من ديمومة، وعفوية، وتلقائية، حيث أن المدى القصير الذي تقوم عليه حسابات المجتمع الاستهلاكي الحديث تقوم بتوليد الحاجات بشكل مستمر، وتحويل كل ما هو قديم لشئ مستهجن يستحق أن يوضع في سلة النفايات، بما في ذلك المشاعر والأجساد والصلات (الروابط). ويرى باومان أن الإنسان بات لا يرغب في دفع الأثمان، ولا استثمار وقت، ولا التضحية من أجل الحصول على مزايا التواصل الاجتماعي. ببساطة تحول الإنسان من وضوح العلاقات الاجتماعية – ومنها العلاقات العاطفية – إلى غموض الصلات العابرة في ظل تنامي السيولة في كل شيء من حوله (باومان، ٢٠١٦: ١٥-١٦).

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

وكما يرى باومان أن العلاقات الإنسانية ومنها العلاقات العاطفية بين الزوجين باتت تخضع لمعايير الاستهلاك. ففي السوق الاستهلاكية عادة ما تعرض السلع على سبيل التجربة، واستعادة الثمن مكفولة إن لم يرضى المشتري عن المنتج تمام الرضا، وعليه فإذا كان الشريك في العلاقة الإنسانية ينطبق عليه هذا التصور فلم تعد مهمة الشريكين العمل على استمرار العلاقة ونجاحها. فما من سبب يجعل المرء يتمسك بمنتج قديم أو رديء، فلا جدوى من المحاولات الجادة والاجتهاد فيها بصبر ومثابرة، فالروابط الإنسانية اليوم وعلى حد تعبير باومن هي روابط فضفاضة يمكن فكها مرة أخرى بسهولة من دون تردد عندما تتغير الظروف، وهذا ما يحث دوما في ظل الحداثة السائلة (باومان، ٢٠١٦: ٢٧).

ويجادل باومان بأن الحب في زمن الحداثة السائلة هو حالة متكررة، وأن الناس يميلون إلى كلمة الحب على معظم التجارب العاطفية التي مروا بها في حياتهم، بل أنهم لا يستطيعون الجزم بأن الحب الذي يعيشونه الآن هو الحب الأخير. بل يتوقون إلى المزيد من العلاقات العاطفية. ولقد تتطرق باومان في كتابه الحب السائل لأشكال مختلفة من العلاقات العاطفية والتي تراوحت ما بين الحب السائل والحب الجامد (الصلب) ولكن هو لم يقم بتنميطها، وهو ما سوف تحاول الباحثة عرضه فيما يلي:

- **علاقات الحب الرومانتيكي:** وهي علاقات يسودها الحب القائم على مقولة تعاهدنا على ألا يفرقنا إلا الموت. ويرى باومن أن هذا الحب لم يعد موجوداً بسبب التفكيك الجذري لأبنية القرابة التي كانت تدعمه، حيث كان الحب يستمد قوته منها وحيويته وأهميته الخاصة (باومان، ٢٠١٦: ٣٦).
- **علاقات حب قائمة على الرغبة:** وهي علاقات يسودها الاشتهاء والالتهام والهضم حتى القضاء على الشيء، أي التخلص من العلاقة بمجرد أن نصل لدرجة الإشباع. ولقد ميز باومان بين الرغبة والحب فيؤكد أن الحب يسعى إلى الحرص والرعاية، أي يسعى إلى إدامة الرغبة بينما الرغبة تهرب من قيود الحب. وإذا كانت الرغبة تبتغي الاستهلاك فإن الحب يبتغي التملك، وإذا كان تحقق الرغبة يعني تدمير موضوعها فإن الحب ينمو ببقاء موضوعه ودوامه. وإذا كانت الرغبة تدمر نفسها بنفسها فإن الحب يديم نفسه بنفسه. ولذلك وحسب باومان بات نشاهد العديد مما يرفضون الزواج لأنه يتطلب الالتزام وتحمل المسؤولية ويفضلون تلك العلاقات العابرة التي يمكن التخلص منها بمجرد الحصول على المطلوب (باومن، ٢٠١٦: ٤٣-٤٤).

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

- **علاقات الجيب العلوي** (باومن، ٢٠١٦: ٥٦- ٦١): وهو مصطلح استعاره باومان من الكاتبة كاثرين جارفي، ويشير إلى تلك العلاقات السطحية التي نفترض أنها عذبة عابرة حيث يكون الفرد ليس مضطراً لبذل الجهد للبقاء لوقت طويل، فهي علاقات مثل تلك الأشياء التي نضعها في الجيب العلوي والتي يتم التخلص منها والاستغناء عنها فور استخدامها وتحقيق المبتغى منها. ويؤكد باومان أن هذا الزمن القائم على هشاشة الروابط بات فيه الكثير من الناس يميلون إلى تلك العلاقات، وهذا تجسيد حقيقي لفكرة الاستهلاك والتخلص الفوري من المخلفات.
- **الحب الحقيقي** (باومان، ٢٠١٦: ٤١-٤٨): يرى باومان أن الحب الحقيقي هو الانفتاح على القدر وهو أسمى الحالات البشرية، فهو حالة تمتزج فيها الخوف بالفرح ليتحولا إلى خليط لا يسمح لمكوناته بالانفصال. فالانفتاح على القدر يعني ميلاد الحرية، تلك الحرية المتجسدة في الآخر(رفيق الحب- المحبوب). ويدعم باومان رأيه بما ذهب إليه إريك فروم عن هذه الحالة حيث يرى الأخير أن تحقيق الحب يتطلب تواضع حقيقي، وشجاعة حقيقية، وإيمان حقيقي، وانضباط حقيقي. وهنا يكمن صعوبة تحقيقه كون أن ثقافة الحداثة السائلة تندر فيها تلك الخصال، وبالتالي تندر القدرة على الوصول إلى الحب الحقيقي. ويؤكد باومن على أحد أهم عوامل النجاح في الحب هو وجود **الأمن**، واشار لعدة مؤشرات له مثل: مد يد العون وقت الشدة، المواساة في الأحزان، الونس في الوحدة، المواساة في الفشل، السعادة بنجاح الطرف الآخر، تلبية الحاجة عند طلبها.

لم يغفل باومان أحد أهم العوامل التي ساهمت في انتشار علاقات الحب السائل في مجتمعاتنا ألا وهو **العامل التقني(الرقمي)**، وهنا يستشهد باومان بوصف ريك شميت مدير جوجل بان هناك ديناً جديداً تقدمه الشركات العاملة في مجال تقنيات المعلومات والاتصال وعالم الانترنت، والذي بات العديد من البشر يعتنقونه ولا يستطيعون الاستغناء عنه. ويؤكد باومان أن التكنولوجيا والرقمنة قد أدت دوراً بالغ الأهمية فيما وصلنا إليه. حيث تزود الافراد وبسرعة فائقة بثقافة تكوين العديد من العلاقات الافتراضية، فليس عليهم الانتظار أو التضحية، ولا الصبر على متعة الاستكشاف الإنساني أو إخفاقاته. إنها ثقافة العلاقات السهلة التي يمكن إلغاءها أو استبدالها في أي وقت إن لم تكن راضياً عنها (ولن تكون راضياً عادة في الأجل المتوسط أو الطويل)، وهي خيارات العالم الافتراضي التي اكتسبتها الاجيال المختلفة

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

وباتت سمة بعض العلاقات بين الأفراد. أي أن زمن الرقمنة ساعد وبشكل اكبر على تعزيز فكرة هشاشة العلاقات الإنسانية بين الأفراد (باومان، ٢٠١٦: ٢١-٢٢).

ولقد أكدت عدة نتائج من الدراسات أن نمط الحب السائل متمثل في العلاقات بين الشركاء والأزواج، منها دراسة Zarean and Chaboki ٢٠١٩ في المجتمع الطهراني، والتي اكدت على أن هناك علاقة بين ثقافة الاستهلاك والحب السائل، حيث ينظر إلى الإنسان كسلعة يمكن أن يضعف من استدامة الحياة بين الشركاء. ودراسة النجداوي ٢٠١٨، ودراسة السالم ٢٠٢٣، حيث أكدتا على أن العلاقة بين الشركاء اتسمت بالأنانية والنزعة الفردية.

حاول باومان من خلال عرضه لكتاب الحب السائل – والذي تؤكد الباحثة أن السياق الذي وضع فيه هو المجتمعات الغربية والتي مازالت تحمل اختلافاً ثقافياً وايدولوجياً عن مجتمعاتنا العربية -، حاول إيجاد المخرج من تداعيات تلك الحداثة السائلة وما ينجم عنها من هشاشة الروابط الإنسانية، ويرى أن الإنسان برغم تلك السيولة التي تعم العلاقات فإنه يقاوم على جبهات الاجتماع، والعلاقات الإنسانية طوال الوقت. فصحوة الأديان وعودة المجتمعات المحلية لثقافتها الأصلية والوعي بالأزمة والسعي لحلها يجري في كل أنحاء العالم شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً. ويؤكد أنه لابد من العودة إلى الجماعة التراحمية، والإطار الكلي، وتقديم تصورات للاقتصاد الأخلاق، فهي نقطة البداية وهي المخرج. ويرى أن قوى السوق الاستهلاكية أشد الاخطار التي تهدد الشكل الحالي للوجود الإنساني المشترك. فحسب تقدير باومان يرى ان تقديم نظرية أخلاقية جديدة تحترم طبيعة الإنسان ككائن اجتماعي أخلاقي هو المخرج لما وصل إليه الإنسان الحداثي.

٢- التعاسة في الحب: رؤية إيفا إيلوز

" لكن النعيم في الحب نادراً ما يتحقق، إذ أمام كل تجربة حب ناجح في عصرنا توجد عشر تجارب للحب المدمر، وانحدار ما بعد الحب لمدة أطول بكثير، وهو غالباً ما يؤدي على تدمير الفرد" .

تفتتح إيلوز كتابها " لماذا يجرح الحب " بهذا الاقتباس، والذي حاولت من خلاله توضيح منابع التعاسة العاطفية وروابط الحب بين الجنسين في العصر الحاضر بالدراسة والتحليل، وذلك من خلال التركيز على السياق الاجتماعي بدلاً من السياق النفسي. وستحاول الباحثة عرض أهم أفكارها باختصار كمحاولة للوقوف على تحليل العلاقات العاطفية بين الشريكين في العصر الراهن.

اعتمدت إيفا إيلوز في تحليلاتها عن التعاسة في الحب على تحليل عدد من النصوص الأدبية والروايات والسير الذاتية بغرض فهم ملامح الواقع المؤدي إلى آلام

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

الحب. وترى أن التعاسة في الحب تنتج عن التفاوتات المجتمعية مثل اختلاف الطبقة، والدين، والمذهب، والمكانة الاقتصادية والاجتماعية، والتي كانت تقف أمام ارتباط المحبين. في حين أن المجتمع المعاصر _ وتقصد هنا المجتمعات الغربية_ تجاوزت تلك القيود، وترى أن التنظيم الاجتماعي للألم الرومانسي قد تغير تغيراً عميقاً (إيلوز، ٢٠٢٠: ١٦).

تنتقد إيلوز المدخل النفسي المفسر لتعاسة العلاقات العاطفية، وترى أن التحليل والعلاج النفسي _ بقصد او بدون قصد_ قد قدم ترسانة هائلة من التقنيات وضعت على كاهلنا بإصرار وحتمية، مسؤولية جميع مآسينا العاطفية. وتؤكد أن إخفاقات حياتنا الخاصة ليست نتاج ضعف نفسي، وإنما تقلبات حياتنا العاطفية ومآسيها تتشكل وفق ترتيبات مؤسسية؛ فالمشكلة في العلاقات الإنسانية المعاصرة لا يكمن في طفولة مختلة، أو نقص في الوعي الذاتي للنفس؛ وإنما مرده إلى مجموعة إلى مجموعة من التوترات الاجتماعية والثقافية، والتناقضات التي اجتاحت هيكلة الأنفس والهويات الحديثة (إيلوز، ٢٠٢٠: ١٨). فالإخفاق فالحب والعلاقات العاطفية يكون نتيجة توترات اجتماعية وليس فقط نتيجة عوامل نفسية مختلة.

الحب الحداثي:

الحداثة هي المرحلة التي تبلورت فيها العلمنة، والعقلنة، وشاعت فيها الديمقراطية، وأنماط الفردانية، وتسيد العلم. وتؤكد إيلوز أن دراسة الحب مركزية وليست هامشية بالنسبة لدراسة الحداثة وأساسها، ولقد شهدت المجتمعات الحداثية الغربية تطرفاً في الحرية والمساواة داخل الروابط العاطفية، وانقساماً جذرياً بين الحياة الجنسية والعاطفية. وتؤكد إيلوز أن الحب لعب دوراً كبيراً في تشكيل ما يسميه المؤرخون: الفردانية الوجدانية، ففي الحداثة تميل قصة الحب لمنح الحب دوراً بطولياً بالانتقال من العبودية إلى الحرية، فعندما ينتصر الحب يختفي زواج الفائدة والمصلحة وتنتصر الفردانية والاستقلالية، فالحب الرومانسي تحدى كلاً من النظام الأبوي والأسرة (إيلوز، ٢٠٢٠: ٣٢).

سعت إيلوز من خلال مؤلفها دراسة تجربة الحب المعاصر لتبيان أسباب التعاسة في الحب، والتي تختلف عن تعاسة الحب قديماً، منتهجة الاسلوب المقارن في تحليلاتها ما بين الحب ما قبل الحداثة وبعدها. ولقد أجريت العديد من اللقاءات والحوارات، وبالعودة للعديد من المؤلفات الأدبية، لتخلص إلى أن المعاناة في العلاقات العاطفية قديماً كانت نتاج عقبات مجتمعية، وطبقية، وقيود ثقافية، وأخرى اقتصادية، في حين أن المجتمعات المعاصرة قد تجاوزت تلك القيود خاصة في المجمعات الغربية، بينما معاناة الحب في المجتمعات المعاصرة جاءت بسبب ما

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

يحدث من تحولات عميقة في " الذات الحداثية " من حيث إرادتها، ورغبتها، وتصوراتها الشخصية. وهو ما جعل المجال العاطفي والخاص للأفراد أكثر تقلباً، مما افقدنا السعادة فالحب، وجعل العلاقات العاطفية أكثر هشاشة. ولذلك حاولت إيلوز التركيز على منابع التعاسة فالحب، والتي عرضتها من خلال كتابها، وهو ما سوف تحاول الباحثة عرضه باختصار:

التحولات في بيئة اختيار الشريك:

تأتي التحولات التي طرأت في بيئة اختيار الشريك عند إيلوز في مقدمة الاسباب التي أدت إلى التعاسات العاطفية المعاصرة. وتؤكد أن اختيار شريك الحياة في مجتمعات ما قبل الحداثة، يخضع لضوابط اجتماعية وثقافية، ويمارس ضمن معايير محددة، وهذه الضوابط بمثابة القيود التي تكبح وتنظم سيطرة الذوق الشخصية للأفراد. فالعلاقات العاطفية بين الجنسين قديماً كانت تتحرك داخل نسق عائلي واجتماعي واضح، والمرأة كانت تتخذ القرار بالقبول أو الرفض للزوج المحتمل بناءً على الرأي الجماعي للعائلة وكذلك الرجل، أي يكون انعكاساً لشبكتهم الاجتماعية، فذوات المحبين – الرجل والمرأة- احتويت وحميت بالحضور الكثيف للآخرين، الذين يتصرفون كحكام ومنفذين للمعايير الأخلاقية والاجتماعية (إيلوز، ٢٠٢٠: ٥٩).

أشارت إيلوز إلى المصلحة بإعتبارها عاطفة وتؤكد على: أن تلك الأزمنة – أي ما قبل الحداثة- كان البدء بتلميحات الرغبة بالزواج ومحاولات الغزل تؤخذ على محمل الجد؛ لأن الزواج حينها يعد أهم عملية اقتصادية في حياة كثير من الناس، لكون ممتلكات الزوجة تتحول إلى زوجها بعد الزواج (إيلوز، ٢٠٢٠: ٦٦-٦٩). ذهبت إيلوز إلى السمعة والحفاظ على الوعود كأداة مركزية تدعم النظام الأخلاقي والاجتماعي المتعلق باختيار الشريك بزمن ما قبل الحداثة، وتعتبر مخالفة الوعود خرقاً خطيراً لسمعة الفرد وشرفه سواء كان رجلاً أو امرأة (إيلوز، ٢٠٢٠: ٧٠). أما عن **الالتزام** فتقول إيلوز: أن الالتزام فيما قبل الحداثة كان يشكل بنية أخلاقية توجه العواطف قبل الزواج وأثناءه، وتجعل الجهات الفاعلة تحدد في داخلها مسألة ما يجب عليهم فعله، وبما يحافظ على سمعتهم. وهذا لا يعني أن الأفراد ليس لديهم دوافع باطنية أو عواطف ولكن تلك العواطف مبنية أخلاقياً وفقاً لما يجب فعله وما يجب أن يكونوا عليه (إيلوز، ٢٠٢٠: ٧٥).

التحولات المؤسسية في بيئة الاختيار (ما بعد الحداثة):

طرحت إيلوز تساؤلاً عن ما الذي تغير وطرأ من تحولات مؤسسية في بيئة الاختيار، ولقد وصفت إيلوز هذه التحولات بالتحول العظيم – اقتبسته من أحد علماء الاقتصاد- وترى أن أبرز التغيرات كانت في ثلاث مسارات: التحولات الأخلاقية،

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

والتحولات الاجتماعية، والتحولات التقنية. ويظهر ذلك في غياب القواعد والمعايير، وتنامي الفردانية في تحديد معايير اختيار الشريك، أي تحوله ليكون خياراً فردياً بعيداً عن النسيج الأخلاقي للمجموعة، وبالتالي قواعد الاختيار اصتبغت بالذاتية والتفضيلات الشخصية، كما رافقه تضاؤل التقاليد الطقسية للاقتران والالتزام بالعلاقة العاطفية طويلة المدى (إيلوز، ٢٠٢٠: ٧٩-٨٠).

ربطت إيلوز " ذاتية الأختيار" بظهور معيارين لتقويم الشريك ومدى انتشارهما، الأول: الحميمية العاطفية والاتساق النفسي: وكانت تقصد به: نظام يجعل الناس يدققون في مشاعرهم ومشاعر الآخرين بهدف البت في أهمية الدلالة المستقبلية للعلاقة العاطفية ومدى شدتها، ويكون التحقق اليقيني من المشاعر لدى الذات الحديثة؛ إما من خلال قدر كبير من التدقيق الذاتي، كالتساؤل عن طبيعة المشاعر وحقيقتها، وإما من خلال الكشف المربك الذي يقوض نفسه من شدته، كالحب من أول نظرة مثلاً (إيلوز، ٢٠٢٠: ٦٣-٦٤). وهنا وحسب ما ذهبت إليه إيلوز أن الحميمية العاطفية بات سبباً للتعاسة في العلاقات العاطفية الحديثة، مما يعقد جدية العلاقة وتذبذبها، ويهدد استدامتها باستمرار، وهو ما يفسر صعوبة الالتزام في العلاقات المعاصرة والوفاء بالوعود طويلة المدى. وترى إيلوز أن هذا التعمق في التأكد من المشاعر، هو ما يجعل الأفراد يتركون علاقاتهم العاطفية التي يعيشونها، ويتركوا زواجاً لا يحقق ذاتهم العاطفية بسهولة، ساعين إلى الاستكشاف الدائم عن المشاعر في ذواتهم.

أما المعيار الثاني هو الطابع الجنسي لأختيار الشريك: تشير إيلوز إلى الجاذبية الجنسية باعتبارها معياراً فاصلاً في اختيار الشريك، وهذا يأتي ضمن التضخم الذي شهده المجال الجنسي في الثقافة الاستهلاكية المعاصرة، أي الجسد أصبح أداة لإثارة الشبق والجنسانية بل وإيقاظها والتعبير عنها بحرية(إيلوز، ٢٠٢٠: ٨٤-٨٦). وعليه أصبحت الجاذبية الجنسية في العلاقات العاطفية معياراً لتقويم الذات والآخرين، ونتج عن هذا التحول في معايير اختيار الشربك تدمير الأنماط التقليدية للاختيار.

وفرة الخيارات:

أكدت إيلوز أن العلاقات العاطفية والجنسية الحداثية باتت غير مقيدة بأي جهاز مؤسساتي، فتقدمت الحرية الجنسية بمنحى مستقيم في أتجاه التحرر المتزايد من المحظورات القانونية والأخلاقية، بهدف جعلها خالية من المحرمات، وأصبحت العلاقات الحميمية قائمة على الممارسة الفردية الخالصة، والاختيار الحر، والاستقلالية، بدلاً من قيامها على الاحترام والشرف الجنسي، أو معايير الزواج من شريك واحد (إيلوز، ٢٠٢٠: ١١٥). ولقد أدت التحولات في بيئة اختيار الشريك، وما رافقها من التغير الجوهري الذي طال المجال العام المعاصر بالحضور المختلط

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

بين الجنسين في شتى المجالات، إلى الوفرة الهائلة للشركاء المحتملين، ما أنتج تغيرات على عملية الاستقرار على حب واحد. وبرغم كثرة الخيارات أمام الجنسين إلا أن الأفراد مطالبون بالمشاركة في جهد مستمر من الاستبطان لتحديد تفضيلاتهم، وتقويم خياراتهم، والتأكد من مشاعرهم. وهذا يتطلب شكلاً عقلانياً من الفحص الذاتي حتى يستطيع الفرد أن يتخذ قرار الاقتران مع شخص ما، على أساس المعرفة العاطفية الذاتية (إيلوز، ٢٠٢٠: ١٧٠).وكما تؤكد إيلوز أن صعوبة الاستقرار على شريك واحد ترجع إلى وفرة الخيارات.

الإيديولوجيا النسوية:

مما فاقم من عقلنة العواطف وتنظيم العلاقات العاطفية تسييس المجال الخاص، وذلك على يد حركات حقوقية مثل الحركة النسوية، والتي كرست قواعد المساواة والتوافق والمعاملة بالمثل- التعاقدية-؛ فقد غيرت الأفكار النسوية فهم العلاقات العاطفية وممارسة الحب. وحاولت إيلوز التزام الحياد في تحليلها برغم انتمائها وقناعاتها بتلك الأفكار لتحلل بشكل نقدي دور الأيديولوجيا النسوية في المعاناة الرومانسية المعاصرة، حيث أكدت على تأثير النسوية في زعزعة استقرار الأدوار والقواعد الجنسانية التقليدية من خلال النقد ورؤيتها المتساوية لحقوق وواجبات المرأة والرجل. ولأن النسوية مثلت العامل الثقافي الأبرز في تشكيل وتغيير العلاقات بين الرجل والمرأة. أوضحت إيلوز أنه بسبب الهوس المرضي بمفهوم السلطة أصبح الحب الرومانسي ينظر إليه نسوياً بأنه مجرد ممارسة ثقافية تعيد إنتاج انعدام المساواة بين الجنسين، بل يعد كأحد الآليات التي تجعل النساء يقبلن ويحببن خضوعهن للرجال(إيلوز، ٢٠٢٠: ٢٠١-٣٠٢). دعت الحركات النسوية إلى مبادئ التكافؤ الجديدة، حتى في إطار الروابط الرومانسية والأسرية؛ بحيث يمكن إدخال شكل من أشكال المقاييس التي تقيم المساهمات والمشاعر بل ومقارنتها. ولكن ترى إيلوز أن التكافؤ في عالم العواطف يبقى بعيد وغير ملموس، فالعواطف تبدو أقل قابلية بكثير للتحديد الكمي (إيلوز، ٢٠٢٠: ٣١٠-٣١٢).

الحب الخيالي وخيبات الأمل:

أشارت إيلوز إلى أن الحب في زمن الحداثة قد يتسبب بالمعاناة لدى الأفراد المعاصرين؛ لأنه في كثير من الأحيان ينشأ من الخيال. إذ أن الخيال بارز بشكل خال في عالم الحب، فالاستدعاء الخيالي للحبيب يكون بنفس قوة وجوده، إلى درجة أنه عندما يعيش الحب شخص ما يبتكر إلى حد كبير مواضيع رغباته (إيلوز، ٢٠٢٠: ٣٥٣).

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

ولقد قدمت إيلوز تعريفاً اجتماعياً للخيال باعتباره ممارسة ثقافية منظمة ومؤسساتية، فأولاً لديه تنظيم اجتماعي مثل تنشيط خيال الرجال والنساء بطرق مختلفة. ثانياً: يتم إضفاء الطابع المؤسساتي عليه بحيث يتم تحفيزه وتدعيمه من خلال أنواع وتقنيات ثقافية محددة في أشكال مطبوعة ومرئية متعلقة مثلاً بالحب والجنس. ثالثاً: أنه ممنهج في محتواه الثقافي وله شكل معرفي واضح يدور حول صيغ سردية جيدة وكليشيهات بصرية. رابعاً: له أثار اجتماعية مثل الاغتراب عن الشريك أو تجربة الحياة اليومية المملة وأخيراً: له ممارساته العاطفية وهي تلك العواطف التي ترتبط بالحياة الواقعية بطرق محددة. وبالتالي فالخيال العاطفي عند إيلوز هو ممارسة اجتماعية وثقافية تشكل جزءاً مهماً مما نسميه النزعة الفردانية المبنية على الرغبة والإرادة، وهو يشكل الحياة العاطفية للأفراد، ويؤثر على تصوراتهم للحياة اليومية (إيلوز، ٢٠٢٠: ٣٦٧).

تتشكل خيبات الأمل في العلاقات العاطفية – حسب ما ذهبت إليه إيلوز - في سياقات منها ما يتعلق بالمنغصات الصغيرة في الحياة المعاصرة، فترى إيلوز أن هذا الطابع المؤسساتي على العلاقة الحميمية، وعقلنة الحياة اليومية، هذا غالباً يفضي إلى الشعور بالملل وخيبة الأمل بحياة كلاً من الشريكين، لأنها تتم بشكل مستمر، بل ويتم مقارنتها بشكل متواصل مع مثل مختلفة من الإثارة العاطفية والتعبير العاطفي، مما يجعل الناس يقيمون أنفسهم وحياتهم بشكل سلبي. وفي الواقع تعد الصور الإعلامية على مواقع التواصل الاجتماعي وغيرها مصدراً للتعبير عن خيبة الامل، قد تؤدي النماذج السائدة عن الحب إلى ترسيخ الأفكار القائلة بأن الآخرين يحققون السعادة في الحب، في حين نحن لا نحققه، وأن تحقيق الحب مهم بشكل أساسي لحياة ناجحة، مما قد يغذي عدم الرضا هذا إلى الإحباط المزمن وخيبة الأمل وبالتالي تلحقهم التعاسة في الحب (إيلوز، ٢٠٢٠: ٣٨٥).

وقد أكدت عدة دراسات أن للمصادر الإعلامية دوراً بالفعل في صنع التصورات لدى الأفراد قبل العلاقة، كدراسة السيسي ٢٠٢٢ بالمجتمع المصري، أما دراسة Darolia and Rathee 2021 ، 2021 Demissew، ودراسة النجداوي ٢٠١٨ ، فقد أثبتت أن للتوقعات التي تسبق مرحلة الزواج تأثير بالفعل على رضا الشركاء عن علاقتهما، سواء بشكل سلبي أو إيجابي.

ثالثاً: الحب الرقمي كنافذة للهروب من الواقع التعيس:

فما آلت إليه العلاقات الإنسانية في عصر السيولة، ما هو إلا نتيجة حتمية للتطور التكنولوجي الهائل، والذي يرمي بالإنسان في عالم الرقمنة أين تتمثل فيه اللاواقعية، وتتآكل كل معانيه فيفقد بذلك دلالته. وبهذا يكون العالم فقد حسه العاطفي،

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

لأنه لم يعد هنالك مكان لتلك المشاعر الجياشة والمترجمة على مستوى الكلمات، لأن هذه الأخيرة لم تعد حضناً للانفعالات التي تفيض من الوجدان، فيعيد صياغته حسب حالات ذاته وهويته الافتراضية (غودار، ٢٠١٩: ١٥).

ولقد تناول العلماء المتخصصون في مجادلة العلاقات العاطفية – أمثال زيجمونت باومن وإيفا إيلوز- إلى ما يمكن أن نعرفه بالحب الرقمي، "*وهو يشير إلى تلك العلاقات التي تتشكل ضمن سوق الحب الذي ينشأ في التطبيقات والمواقع الافتراضية، وهو ينبثق بشكل عشوائي ومباغت – حسب المصادفة الافتراضية-، وهو ينزع إلى السرعة والعبور والرغبه اللحظية للبوح، لأنه خطاب عاطفي مصنوع لتوه*".

وحسب ما ذهب إليه العلماء في تحليلهم للعلاقات الافتراضية إنها عكس العلاقات الواقعية الحقيقية المبنية على الالتزامات طويلة المدى، والقائمة على أساس الوجه؛ الذي يعد علامة التواصل المباشر بين الأنا والغير، فالعلاقات الافتراضية تبدو أكثر توافقاً مع البنية التقنية المعاصرة، والتي تتوعد بإشباع أفضل ورضاء أكبر دون بذل أي مجهود لإنجاحها، فهي كما أوضح باومن أنها علاقات أنيقة ونظيفة، ومألوفة، وسهلة الاستخدام مقارنة بالعلاقات الواقعية الصامدة الثقيلة. فالحب الرقمي يتجاوز كل ما هو ثقيل يعبق الذات ويقودها.

وحسب ما أكدته إيلوز في تحليلها لعلاقات الحب على المواقع الالكترونية أن السلبية هي القاعدة الأساسية لتلك العلاقات بفعل الايدولوجيات المعاصرة وتقنيات الاختيار ورأسمالية الاستهلاك، وتؤكد أن ثمة عدم يقين في المشاعر بفعل الحرية الجنسية والعاطفية، فلا يعرف الفرد إن كان سيستمر أم لا بفعل فقدان الشغف بالطرف الآخر، مع الرغبة في التجديد المستمر للعلاقات، فبالتالي لا يتحقق الحب الحقيقي ويبقى الفرد تعيساً يبحث بشكل دائم عن السعادة فالحب.

والمثير في الحب الرقمي أنه يوحد أشكال التعبير بصرف النظر عن السياقات الاجتماعية والثقافية والجغرافية، فالصور التي تعبر عن المشاعر رتيبة لا فرادة فيها، بل مشتركة ومتوافق عليها. وكلما انتشرت وتم التوافق عليها وتم تداولها رقمياً؛ زاد توظيفها للتعبير عن حب عابر فان. ومع ذلك تلك المشاعر المعبرة عن الحب يكون لها قوتها التأثيرية ونجاعتها في افتكاك لحظة مع المحبوب المفترض، فتكون فرصة الفرد المؤقتة حتى ينفلت من واقعهم المحبط والتعيس. والاخطر في هذا الحب الرقمي أن هذه التقنيات تقدم تعبيرات متعددة دفعة واحدة، حتى يبلغ الشحن الجنسي الذي يبدو أنه إحدى غايات هذه التقنيات، والعجيب في هذه التعبيرات العاطفية والعلامات الرقمية تستعمل بلا حدود، وبلا عتبة في اللامكان. فمن أول لقاء

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

تواصلي رقمي ترسل مثل هذه الأيقونات لفتح أفق على علاقة ممكنة، أي أن التعبير عن الحب أصبح سابقاً للحب نفسه، والمشاعر لاحقة للتعبير عنها(الدريدي، ٢٠٢٣: ٨٠). ويؤكد فيال ان الظاهرة الرقمية هي لعبة ضمنية في ذاتها، لذلك يجد مستخدميها هامشاً من المتعة والمرونة داخلها، كما لو أنها أفيون مستصاغ لا يمكن مقاومته، لأنها تحاكي الجانب العاطفي في أعماق الذات البشرية (فيال، ٢٠١٨: ٢٢٨).

ومن العوامل التي ساعدت على اتجاه الأفراد نحو تلك العلاقات الافتراضية هو غياب الرقابة سواء الاجتماعية أو القانونية أو حتى الأخلاقية، لأنه يتيح انفلاتاً من سلطة الثقافة والمجتمع، فهو بلا كوابح معيارية. فالإنسان الذي يرغب فالهروب من واقعه العاطفي التعيس والمحبط للحصول على مراودة لحظة عاطفية سيبرانية، فأنه سيجد فرصته الحرة لتعويض الحرمان بلا وسائط قيمية تكبح جماحه. وهذا ما يجعل الخجول من الواقع جريئاً في المجال الافتراضي الرقمي. وسرعان ما تختفي ذاكرة تلك العلاقة بمحوها عند الانتهاء منها.

خاتمة:

انطلقنا في هذا البحث من فكرة التركيز على إحدى الظواهر التي قد يكون تم إغفالها إلى حداً ما في الكتابات الاجتماعية، خاصة في سياقنا العربي، ألا وهي ظاهرة الحب. فالحب يعد من المفاهيم المركزية التي تقوم عليها مختلف العلاقات بين الأفراد والجماعات، كما أن الحب يظل هدف الجميع الذي يسعون لتحقيقه لما يحققه من إشباعات عاطفية، ونفسية، وحتى جنسية، فكما أكدت الدراسات والرؤى النظرية المختلفة أن أغلب البشر يظنون أن حياتهم لا تكتمل إلا بوجود عاطفة الحب، فالحب حالة قصوى من حالات الشرط البشري، وشكل من أشكال ممارسة الإنسان لذاته وبقاءه سعيداً.

وعليه، حاولت الباحثة رصد ظاهرة الحب في كتابات علماء الاجتماع وهم عدة، ولكن؛ كان التركيز على رؤية كلاً من زيجونت باومان وتحليله لما أسماه الحب السائل، وإيفا إيلوز لما قدمته من تحليل لأسباب المعاناة في الحب. ولقد ألتقت تلك الرؤى في محورين الأول: وهو تحليل الحب في زمن الحداثة وما بعدها، والتقيا كذلك بالتركيز على العلاقات العاطفية عبر المنصات الإلكترونية. وعليه شكلت كتاباتهما فهماً سوسيولوجياً للحب بشكل واضح، كونهما رصدا الحب كظاهرة اجتماعية طالها التغير بفعل التحولات والتغيرات الحداثية الفائقة، التي طالت المجتمعات فانعكست بدورها على العلاقات الإنسانية، حيث استبدال المشاعر الدافئة الدائمة بأحاسيس باردة عابرة من خلال الاتصال الرقمي الذي عم حياة البشر. فتكونت العلاقات التي منحت الأفراد القدرة على نسج العلاقة مع إمكانية فسخها وإلغائها بمجرد عدم الحصول على المنفعة المرادة من العلاقة. فثمة مرتكزاً حاولت الباحثة إبرازه والوقوف عليه، ألا

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

وهو ظاهرة الحب في زمن الرقمنة، كون أن الفضاءات السيبرانية أصبحت ساحة فضاء مفتوحة أمام الجميع لممارسة ما أسماه باومان الحب السائل، بمختلف مضامينه وخصائصه.

وبناءً على ما سبق، وحسب ما تم تحليله من دراسات ورؤى نظرية حول الحب، ترى الباحثة أن معظم الأفراد يخوضون تجاربهم العديدة والمستمرة، المتصلة والمنقطعة من حالات الحب الرقمي، محاولة منهم لتحقيق أمرين، **الأول:** أن الأفراد يلجئون إليه هروباً من واقعهم التعيس والمحبط وهروباً من علاقات عاطفية واقعية فاشلة، بما يشبع رغباته ويحقق له السعادة حتى ولو بشكل مؤقت، خاصة أن الحب الرقمي يوفر لهم سهولة الدخول والخروج من العلاقة مع الحفاظ على سرية وخصوصية تلك العلاقات. أما **الأمر الثاني**: أن الأفراد يتجهون للحب الرقمي بحثاً منهم عن الحب الحقيقي الذي لم يوفقوا في الوصول إليه في واقعهم الصعب، فيبحثون عن علاقات تحقق لهم الانجذاب، والتوهج، واللهفة، علاقات تصبو إلى التفاهم، والأمان، والالتزام.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

المراجع:

إيلوز، إيفا. (٢٠٢٠). " لماذا يجرح الحب: تجربة الحب في زمن الحداثة"، ترجمة خالد حافظي، صفحة سبعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية.

بالطة، مريم و برغيت، آسيا. (٢٠٢١). " المجتمع الرقمي وإشكالية الهوية الوطنية"، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٥، العدد ٢.

باومن، زيخمونت. (٢٠١٦). " الحب السائل: عن هشاشة الروابط الإنسانية"، ترجمة حجاج أبو جبر، تقديم هبه رؤوف عزت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت.

البدري، هناء بنت حسن. (٢٠٢٢) " ظاهرة الطلاق: دراسة في الأسباب والنتائج"، مجلة العميد، مجلد ١١، عدد ٤٣، ١٢٥- ١٥٨.

بسيوني، همت. (٢٠٢٢). " تغير مفهوم الحب في ظل الحداثة السائلة: دراسة من منظور البنيوية التكوينية عند لوسيان جولدمان"، مجلة الآداب، العدد ٢٢، جامعة كفر الشيخ.

الترك، عبير ماجد. (٢٠١٤). " العلاقاة بين الحرمان الزوجي العاطفي عند المرأة ومدى رغبتها في البحث عن علاقات عاطفية بديلة خارج إطار الزوجية في الضفة الغربية"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القدس المفتوحة، فلسطين.

خيري، نورة. (٢٠٢٣). " رقمنة الذات وإشكالية اغتراب الهويات في الفضاء السيبراني: الاستخدام بين الذات الحقيقية والذات الزائفة، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد ٩، العدد ١.

الدريدي، آمال. (٢٠٢٣). " خطاب الحب في العالم الرقمي: تحولات في أوجه البلاغة والتعبير"، المجلة العربية لعلم الاجتماع، إضافات، عدد ٧٠، ٧٣-٨٩.

زكي، وليد رشاد. (٢٠٢١). " المجتمع في العصر الرقمي: منظور تفاعلي"، عرض للكتاب، المجلة المصرية للعلوم الاجتماعية والسلوكية، العدد ٤.

السالم، مرام بنت سعد. (٢٠٢٣). " أنماط الحب المعاصرة في العلاقاة الزوجية من منظور بعض علماء علم اجتماع العواطف: دراسة نظرية"، مجلة مستقبل العلوم الاجتماعية، مجلد ١٣، عدد ١، ١٠٥- ١٣٣.

السيسي، ياسمين. (٢٠٢٢). " دور المسلسلات التركية والهندية المدبلجة في تشكيل صورة شريك الحياة لدى الشباب المصري، مجلة كلية الآداب، مجلد ٤، ٣-٢٩.

غدوار، إلزا . (٢٠١٩). " أنا أوسيلفي إذن أنا موجود: تحولات الأنا في العصر الافتراضي، ترجمة سعيد بنكراد، المركز الثقافي للكتاب، بيروت.

فرح، عبد الله. (٢٠١٩)." الحب الافتراضي: مقاربة سوسيولوجية" ، مركز نهوض للدراسات والنشر.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

فيال، ستيفان. (٢٠١٨). " الكينونة والشاشة: كيف يغير الرقمي الإدراك، ترجمة إدريس كثير، هيئة البحرين للثقافة والآثار، بيروت.
كعانبة، هدى محمد. (٢٠٢٢). " سمات الشخصية وأساليب الحب وعلاقتها بالالتزام الزواجي" ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.
لعريني، صلاح الدين و بوحوش، عبد الغني. (٢٠٢٢). " تحولات الهوية الشخصية بالمجتمع الشبكي الرقمي"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية لأكاديمية المملكة المغربية، مجلد ١، العدد ١.
النجداوي، موسى. (٢٠١٨). " الطلاق العاطفي في المجتمع الأردني"، مجلة دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية، مجلد ٤، عدد ٤٥، ٤٣-٥٨.
نجف، أفراح أحمد. (٢٠٢١). " معنى الحب وعلاقته بجودة الحياة لدى الأزواج"، مجلة العلوم التربوية والنفسية، العدد ١٤٣، ٢٠٨-٢٣٣.

References:

Bergstrom, Mari. (2019). “ Les Nouvelles lois de l,amour. Paris: La Decouverte, chap. 1.
Cardon, D. (2019). Culture numerique, Presses de Sciences po, p. 177.
Darolia, C & Rathee, A. (2021). “ Exploring the Role of Partner Expectations and Personality on Marital Satisfaction. Indian Journal of Health and Wellbeing, 12(3), 252-255.
Demissew, S. (2021). “ Impact of Premarital Expectation on Marriage Satisfaction among Members of Zetseat Apostolic Reformation Church, Addis Ababa University”, Unpublished master Thesis.
Rinaldi, Sergio. (1998). “ Love dynamics: the case of linear couples, Applied Mathematics and computation, No. 95, p.p 181-192.
Sternberg, Robert. (1997). “ Construct Validation of a triangular love scale”, European Journal of Social Psychology, vol. 27, 313-335.
Zarean, M & Chaboki, O. (2019). “ The Relationship between Consumersim and Looking at Human as a Commodity with Liquid Love in Marital life”. Journal of Woman in Development and Politics. 16 (4), 483- 498.
Zubbof, S.(2020). “ Lage du surveillance, traduit par For mentelli, B, Et Homassal, A-S., Zulma (e pub, chap 2).

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X